مجلة أبوليوس
المجلد 10 العدد 2 – جويلية 2023
الصفحات: 18- 27

ألف ليلة وليلة وأصول الرواية الغربية

The Arabian Nights and the Origins of the Western Novel

بقـــلم: Robert Irwin
ترجمـة: د. محمد آيت لعميـم*
المركز الجهـوي لمهـن التربية والتكوين مـراكش- آسـفي/ المغـرب
laamimmohamed64@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/06/25 تاريخ القبول: 2023/08/10 تاريخ النشر: 2023/08/31

ملخص البحث:

فيما يبدو هناك تحيز كبير لتأثر الرواية الأوروبية في القرن 18 بألف ليلة وليلة. فهذا الكتاب حرر المتخيل، وحرض على القطيعة مع الإكراهات الكلاسيكية، فهو مؤلف شكل سابقة للنزعة الإيروتيكية للروايات الماجنة، وأوحى بالعديد من الحكايات الأخلاقية والتعليمية، وتمت استعارة حبكته بشكل مطواع. وحفزت على انطلاق قريحة روائية شبه شرقية عند جون هاو كيسوورث، وكلارا ريف، وجيمس ريدلي وكتاب آخرين، أحالوا بشكل متواتر على ألف ليلة وليلة، وفي الغالب الأعم بطريقة إيحائية. مع ذلك فقد دافعت مارتا بيك في مقالتها "الحكي الشرقي في انجلترا في القرن 18" عن وجهة نظر مغايرة، فحسب نظرها تم النظر للحكاية الشرقية بوصفها شيئا غريبا، فالتواءاتها وأجواؤها ونزواتها التي يفهمها الشرقيون ويدركونها، كانت تبدو مفرطة في الغروتيسك... لا يتمتع هذا النقاش بأصالة مطلقة، فقد بين الناقد الفذ بيتر كراتشيولو في مقال مهم، إلى أي حد كانت الرواية الشطارية طوم جونس مدينة لدورة الأحدب في ألف ليلة وليلة.

الكلمات المفتاحية: ألف ليلة وليلة؛ الرواية الأوروبية؛ الخيال؛ التأثير.

Abstract:

It seems that there is a significant bias towards the influence of Arabian Nights in 18th-century European fiction. This book liberated the imagination, encouraged a break from classical constraints, and served as a precursor to the erotic tendencies in later novels, inspiring numerous moral and educational tales, with its plot often borrowed willingly. It sparked a quasi-Eastern narrative wave in the works of John Hawkesworth, Clara Reeve, James Ridley, and others, who frequently referred to Arabian Nights in an allusive manner. However, Martha Pike argued in her essay "Eastern Storytelling in 18th-Century England" for a contrasting perspective. In her view, the Eastern tale was often seen as something exotic, and its intricacies, atmospheres, and nuances, understood and appreciated by the East, appeared excessive in the Gothic context. This debate is not without authenticity, as the esteemed critic Peter Katscholou emphasized in an important essay to what extent the clever novel "Tom Jones" owes a debt to the Arabian Nights.

Keywords: Arabian Nights; Western Novel; imagination; influence.

* المؤلف المراسل

إنها ارتباكات التخييل! هنا يتعلق الأمر بنوع متخصص في الكذب. ففي المحيط العربي في العصر الوسيط، تظهر شكوك حول قيمة التخييل في مقدمات الكتب التي تحاول غالبا أن تبرر القصص الآتية الذكر. فإحدى الأعمال الأدبية النثرية الأكثر شهرة في العصر الوسيط العربي في مجال التخييل هي "كليلة ودمنة" وهي عبارة عن اقتباس لحكايات هندية على ألسنة الحيوان أنجزها ابن المقفع في القرن 8م. وقد نبه في البداية إلى أن الأمر لا يتعلق بعمل "للتسلية"، لقد قدم الكتاب باعتباره منبعا للحكمة ومرشدا للحياة الفاضلة. وفيما يتعلق بمقامات الحريري (12م)، وهي التحفة المشهورة المكونة من خمسين مقامة، فقد أكد الشراح أن بطلها الشديد الذكاء وصاحب الحيل، أبو زيد، كان شخصية حقيقية، وأن العمل لم يكن يرتبط إذن بالخيال. أما "ألف ليلة وليلة" فلم يعتبرها أبدا أدباء العصر الوسيط عملا كلاسيكيا للأدب، يظهر الارتباك نفسه في مقدمة مخطوط القرن 15م الذي اعتمده أنطوان غالان:

"أود أن أخبر الرجال المحترمين و الموقرين و القراء النبلاء أن هدف هذا الكتاب الرائع والمسلي هو تكوين قرائه، لأنه يزخر بقصص ذات عبرة ودروس ممتازة بالنسبة إلى الأشخاص المميزين، وأنها تمنحهم فرصة تعلم فن الخطاب، وكذلك ما وقع للملوك منذ فجر الزمن، هذا الكتاب الذي أسميته "ألف ليلة وليلة" يشتمل أيضا على وفرة من السير الخلابة التي تعلم القارئ أن يكتشف الخداع ويحمي نفسه منه".

نلاحظ سهولة في فرنسا وانجلترا، في القرن 18م، أي في العصر الذي عرف ميلاد الرواية بكل ما للكلمة من معنى، نفس نوع الارتباك بخصوص موضوع التخييل. يؤكد غالان في مقدمته "لألف ليلة وليلة" أن هذه الحكايات "ينبغي أن تعجبنا من خلال عادات الشرق وتقاليدهم، ومن خلال حفلاتهم الدينية سواء الوثنية أو المحمدية، وهي أشياء مترسخة جدا لدى المؤلفين الذين كتبوها، من خلال علاقات المسافرين" ويضيف: " وأيضا بالنسبة إلى الذين سيقرؤون هذه الحكايات، سواء هيئوا للاستفادة من نماذج الفضيلة و الرذيلة التي سيجدونها فيها"، إذ مكنهم أن يجنوا فوائد لا يجنوها من قراءة حكايات أخرى، تفسد الأخلاق أكثر مما تصلحها".

الرواية القصيرة "أرونكو" Oroonoka، ل Aphra Behn (1688) طبعت باعتبارها عملا لا تخييليا (non-fichion)، الأمر ذاته بالنسبة إلى روبنسون كروزوي في عام 1719، وبالنسبة إلي "يوميات عام الطاعون" في عام 1722، تؤكد المقدمة الانجليزية لحكايات موغول mogols لطوماس سيمون كولييت (1736) أن مثل هذه القصص تغرس "في القراء الشباب، التلطف في الخطاب، و الوداعة والمعنى السامي للفضيلة، وتعلمهم جغرافية البلدان الغريبة وأخلاق أهلها" فحسب صفحة عنوان رواية صامويل ريتشارد دسون"باميلا أو مكافأة الفضيلة " Pamela ou la vertu recompossée (1740) هذا الكتاب نشر "بهدف غرس الفضيلة و الدين في عقول الشباب من كلا الجنسين"، على نفس الصفحة عرض الكتاب بعد ذلك بهذه الكلمات: "حكاية أساسها حقيقي، وهي في الآن نفسه مسلية بشكل بارع". يمكننا ان نعدد الأمثلة بسهولة.

إذن ففي أي عصر رأت الرواية الأولى النور؟ يمكننا أن نصنف الساتيريكون لبترون، والحمار الذهبي لأبوليوس روايتين، الأمر كذلك بالنسبة إلى المحكيات الهلينية (هذه المقاربة شكلت أساس إعادة تأويل الأصول

التاريخية للرواية بواسطة مارغريت آن دوبي). أمثلة أكثر معاصرة يمكنها أن تدمج "الأخلاط" Les farragos للآنسة دوسكوديري، مثل إبراهيم أو Bassa الشهير" (1641-1644).

"ومغامرات طيليماك"، وهي رواية تعليمية لفنيلون نشرت عام 1699، دون علم المؤلف. سيكون من الصعب رفض إطلاق تسمية رواية على الرواية الشطارية "دون كيخوطي"، (1605 صدر جزؤها الأول، وفي 1615 صدر الجزء الثاني). ومع ذلك هناك توجه قوي، خصوصا بين نقاد الأدب الانجليز من أمثال "إيان واط" Ian Watt، لتحديد بداية الرواية بالمعنى الراهن للكلمة في بداية القرن 18م، فالمعالم الرئيسية تدرج روسنبون كروزوي لدانيال ديفو (1719). باميلا لريتشاردسون (1740). Joseph Andreu (1742) وقصة طوم jones (1749) لهنري فيلدينغ.

نسجل أن نشر الجزء الأول من الطبعة المجهولة الانجليزية "لليالي" أنجزت انطلاقا من ترجمة كالان، وأطلق عليها طبعة Grub Street، صدرت سنة 1706 وقد سبقت بوقت قليل العينات الأولى للرواية الانجليزية.

فيما يبدو هناك تغيير كبير بواسطته تأثرت الرواية الأوربية في القرن 18 بألف ليلة وليلة: فهذا الكتاب حرر المتخيل، وحرض على القطع مع الاكراهات الكلاسيكية، فهو مؤلف شكل سابقة للنزعة الايروسية للروايات الماجنة، وأوحى بالعديد من الحكايات الأخلاقية والتعليمية، فبشكل مطواع تمت استعارة حبكته وحفز على انطلاق قريحة روائية شبه شرقية عند John Haw Kesworth و Clara Reeve و James Ridley ومؤلفين آخرين، أحالوا بشكل متواتر على الليالي، وفي الغالب الأعم بطريقة إيحائية. إلخ.

مع ذلك دافعت مارتا بيك Conant ، في مقالة "الحكي الشرقي في انجلترا في القرن 18 "التي ظهرت عام 1908، على وجهة نظر مغايرة، فحسب رأيها: "لقد نظر إلى الحكاية الشرقية يوصف شيئا غريبا، فالتواءاتها، وجوها ونزواتها، التي يفهمها ويدركها المستمعون الشرقيون، كانت تبدو مفرطة في الغروتيسك وغير قابلة للتصديق مما يجعلها لا تمارس سوى سحر ضعيف على القراء الإنجليز الذين لم يسافروا قط. إذ كانوا يفضلون الترحيب، وبود دال، بالخلفية البسيطة والواقعية لحكايات Defoe.

يمكننا القول إن مارتابيك، تلقت مسبقا استحسان هنري فيلدينغ في "جوزيف اندريو Joseph Andreu، هذا الأخير كان قد حط من قدر مؤلفي "ألف ليلة وليلة" وبمختلف الروائيين الذين : " من دون أن يستعيروا أي شيء من الطبيعة و التاريخ يذكرون شخصيات لم توجد قط ولن توجد البته، ووقائع من المستحيل أننا رأيناها وأنه لن تقع أبدا. إنهم مبتدعون لكل أبطالهم، ومن سديم أدمغتهم الوفيرة استخلصوا كل الكائنات وكل البواعث التي جعلوها تتصرف" من جهتي، سأعمل على إبراز أن الثنائية بين متخيل الليالي وواقعية Defoe وروائيين انجليز آخرين، خاطئة في جوهرها.

هذا النقاش لا يتمتع بأصالة مطلقة. ففي مقال هام، بيّن الناقد الفد Peter Carratciolo إلى أي حد كانت الرواية الشطارية Tom Jones مدينة لدورة الأحدب في ألف ليلة و ليلة.

هذا الأمر في جزء منه، قضية مرتبطة بالتلميح والبنية. ففي رواية فيلدينغ، شخصية Partridge والحلاق الثرثار والملحاح الذي يعطل لقاءات العشاق ويستنفذ حبهم، هي بطريقة جلية وصريحة مستلهمة من الحلاق الذي نلتقي به في دورة حكايات الأحدب، فعنوان فصل في Tomes Jones يشير إلى ذلك بصريح العبارة "سنرى أحد أكثر الحلاقين كوميدية تذكره القصة، من دون أن ننسى حلاق بغداد ولا حلاق دونكيخوطي".

لكن التوازي الحاسم بين Tomes Jones ودورة الحكايات العربية يتجلى في "الإحساس بأن العالم ملئ بالقصص، و أن القدر العادي و المطابق للتجربة هو أن تعيده الحكاية"، حسب Peter Carratcciolo "فما وفرته الليالي من أشياء فريدة لمؤلف Tomes Jones وللأجيال اللاحقة من الروائيين الذين اعتبروا رائعته الأدبية بمثابة نموذج أصلي، هو قبل كل شيء نموذج دنيوي واسع الخيال ومتعدد الشكل، شاسع ومأهول بشكل مكثف، مستعملا خليطا معبرا من النثر و الشعر، من الواقعية والفانطاستيكية، من الهزلي و التراجيدي، معيدا تدوير شذرات من قصص قديمة، منحدرة من مختلف الثقافات كي يجعل منها حكايات جديدة متشابكة بمهارة. فهذه الحكايات المدمجة في حكايات أخرى مازال لديها القدرة على الإجابة عن حاجيات المجتمعات التي تتعقد بالتدريج، كما هو الأمر عندنا وفي بلدان أخرى".

لاحظ أيضا Peter، أن دورة حكايات الأحدب زاخرة "بالتفاصيل الحية حول الحياة الحضرية". أود هنا أن أتوسع في التحليل المتألق والمتبصر الذي يكثفه كاتب المقالات في نصه على مساحة فقرتين. فالذي يميز الرواية في القرنين 18 و 19م هو أولا كثافتها وتوجهها نحو الأطناب في التفاصيل، حين نفكر في "ألف ليلة و ليلة" فمن المحتمل جدا أننا نفكر في المقام الأول بالخيول المجنحة، وبالشياطين آكلي اللحوم، والجني الذي يخرج من جرة او قارورة، كل هذه الكائنات ترد بالتأكيد في الليالي لكن ما يدهشنا في العديد من القصص الاولى من المخطوط العربي الذي استعمله كالان، خصوصا تلك القصص المجموعة في دورة حكايات الأحدب، ليس السحر أو الفانطاستيك أو الجن بل الواقعية الوثائقية و الاستحضار المفصل للأشياء اليومية، قبل القرن 18م كان مؤلفو الحكايات أو القصائد الروائية مثل "أريوسط" Arioste (1474-1533) وخنيز بيريز دوهيتا Ginés Perez de Hita (1544- 1619) أو مادلين De sardéry (1601-1701) يبرهنون على قوة واضحة للتجاور الإردافي لمتواليات القصة- من غير روابط- اختطافات، معارك، لقاءات جديدة، افتراقات – لكنها لم تكن تجعل أبدا التركيز على التفاصيل المجسدة الخاصة لكي تصير متصورة. فالذي جسد الجديد في الرواية في القرن 18، هو التفصيل البصري و الكثافة في نسيج الحبكة.

تمكن مؤلفوا "موسوعة الليالي العربية" The arabian Nights Encyclopidie من تأكيد أن دورة حكايات الأحدب كانت تشتمل على "كمية من عناصر الكروتيسك: العلاقة بين الغذاء و الموت، التشوهات الجسدية، العنف والاحتضار، الموافقات الغريبة، العربدة، المقالب الجنسية، والتمثلات النمطية لشخصيات متعددة، بالخصوص النساء، و اليهود والمسيحيين و الحلاق". لكن إذا أخذنا سياق هذه الحكايات في الاعتبار فالأكثر تأثيرا فيها هو ما لا يظهر فيها أبدا. فالسحر و الوحوش تلمع من خلال غيابها.

بدل هذا، لدينا الحكاية الواقعية لمهرج احدب يلعب بدف صغير أمام محل خياط، دعاه إلى العشاء فغص بشوكة سمكة، فأصبح بذلك مصدرا لإزعاج كل أولئك الذين يحاولون التخلص من جثته.

فهناك اليهودي الذي يتوسل بالنبي موسى، و بعزرا و كل الأنبياء لينقدوه من الشرطة، والمسلم الذي يزود السلطان بالشحوم والزيوت، والدلال المسيحي المناصر للمفرطين في الشرب، تبدأ مغامرة هذا الأخير في اللحظة التي أظهروا له في منديل عينة من حب السمسم. تعطينا الحكاية التفاصيل المالية والتبادل التجاري الذي يترتب على ذلك، وتذكر أيضا قسمة النسب المئوية. يؤطر هذا المقطع قصة التاجر الشاب الأكتع، وأنشطته المذكورة بطريقة واقعية بشكل مكثف، ومواعيده مع امرأة كان مغرما بها، والقصة التي يحكيها الطبيب اليهودي، التي يدرج فيها مديحا نابضا بالحياة للقاهرة، تخرج بدورها الممارسات التجارية و المواعيد الشبقية والايذاء. قصة الخياط وهي تروي العناصر المفاجئة للقاءات الحب المحبطة التي تسفر عن اضطراب الحركة للبطل، تؤطر قصة مطحنة الكلمات الجهنمية التي هي الحلاق وإخوته الستة السيئ الحظ وذوي العاهات الجسدية.

تمتلك القصص كثافة من خلال قوائم تفصيلية: "الأقراص التي تنكه النفس، دفاتر الحسابات، الفئران التي تقرض الزبدة في مخزن التاجر المسلم، الكريب الموجود على جانب خمار الموسلين لامرأة. الحمار الذي نكتريه مع الآثان، الفارس الذي علّق على قربوس إكاف دابته جرابا نصف مفتوح يخرج منه شريط من الحرير الأخضر". مرق الداوجن الذي أعطي للتاجر الأكتع، حساء الثوم، صابون قلوي، طوق الذهب حيث تلمع: "من فضاء إلى فضاء عشر لؤلؤات كبيرة جدا ومتقنة الصنع بشكل تام"، محاجم الحلاق وأسطرلابه، الأريكة المزخرفة بشكل رائع إلخ، إن الطبعة الأصلية العربية، علاوة على ذلك غنية بالتفاصيل البصرية المجسدة. وهذا ما لا يوفره لنا كالان ومترجمه في Crub street لكنها نقطة ليس من الضروري أن نلح عليها هنا.

قام ايريك أويرباخ، في كتابه "محاكاة" Mémesis، بهذه الملاحظة حول موضوع رواية Manon Lescant (1731) لأنطوان فرانسوا بريفو Abée Prévost: "ففور ما تسمح به الفرصة، توصف الملابس و الأشياء و الأثاث بقلم دقيق، مغناج يستمتع باللون وحركات المشاهد التي يرسم [...] شخصيات ثانوية تنتمي لكل الطبقات، تبادلات تجارية، تستند سلسلة بكاملها من المشاهد إلى الحياة اليومية تنتسج من الحدث الأساس [...] من هذا الكتاب، هناك الكثير من الكلام حول المال، نجد فيه الختم، والخانات، والسجون [...] تظهر الواقعية من كل مكان". يمكننا قول نفس الشيء بخصوص Tomes Jones كما هو الأمر بالنسبة إلى موضوع دورة حكايات الأحدب في ألف ليلة وليلة.

إن قصص الليالي التي نذكرها هنا كلها بعيدة الاحتمال، لكن ولا واحدة منها ليست مستحيلة. نستخلص فائدة عامة بخصوص تداول المال والطريقة التي تدار بها الأمور في العالم الواقعي. فهذه القصص تحكى للخليفة المستنصر بالله، ولسلطان قاجار Casgar، وفي نهاية المطاف، للملك شهريار. لكن أبطالها أشخاص عاديون – خياط، ممون، طبيب، وسيط تجاري وكل الناس الذين يتعاملون معهم – في حين ان شخصيات Arioste، و Perez de Hita و الآنسة Sandéry كانوا ملوكا وفرسانا وأمراء. حتى في رواية أورونوكيو Oroonokio لألفا بهن Alpha Behn فالعبد الأسود الذي جيء به من افريقيا إلى سورنيام Suriname كان من أصول ملكية، فالأرستقراطيون كانوا يحتكرون حركة الروايات القديمة. هنا أيضا، توفر دورة حكاية الأحدب سبقا مجديا لنثر سردي انجليزي طموح لرسم واقع متعدد من الناحية الاجتماعية. بعيدا عن دورة حكاية

الأحدب نفسها، هناك العديد من القصص في الليالي أبطالها تجار. كما يشهد على ذلك بالضبط "علي الخواجة وتاجر بغداد" و الرحلات التجارية السبع لسندباد. (فيما يتعلق بقصص سندباد هنا نزوع لدى القراء لتذكر لقاءاته مع طائر الرخ، ومع آكلي لحوم البشر العملاق، لكنهم ميالون إلى نسيان التفاصيل المتوفرة بكثرة فيما يتعلق بالتبادلات التجارية العادية، سواء تعلق الأمر بتجارة الكافور او التوابل أو الجوز الهندي).

لقد كان سندباد وروبنسون كروزوي رأسماليين، فهذا التركيز على المغامرات التجارية كان مخصصا ربما لإغراء القارئ الانجليزي في القرن 18 الذي كان في تزايد شيئا فشيئا. ومن المناسب أيضا أن نسجل أنه في غالب الأحوال، أن كتب الخيال السابقة عن القرن 18 لم تكن مزودة سوى بالحوارات القصيرة والمصطنعة بعض الشيء. يشكل ذونكيخوطي في هذا الجانب استثناء. بما أن دورة حكايات الأحدب غنية بالحوارات وبنيتها المتداخلة المعقدة، فإن السرد يروي محادثات هي نفسها مؤطرة من خلال السرد.

تبدو قصص الوسيط المسيحي، والممون، والطبيب اليهودي مستخلصة من نوع عربي في العصر الوسيط وهو"الفرج بعد الشدة" لأنه بعد الابتلاء و الإيذاء، يرى كل شخص حالته تنتعش وتتعافى. في الواقع، لا تمر الأمور حقيقة هكذا، لأن الفرج هو قبل كل شيء من جنس التقوى. والحالة هذه يبدو في هذه القصص أن الأمر لا يتعلق بالصبر في مواجهة المعاناة ولا بالثقة الوثيقة في الإنجاء الإلهي. فبالرغم من التقلبات الاعتباطية للشروط، فالأبطال يخرجون منها سالمين، حتى لو أدوا فيها ثمنا باهظا، إنهم يتحركون في عالم علماني إلى حد كبير، عالم يغيب فيه إلاله (وعلاوة على ذلك سيبدو من غير المناسب أن تظهر مسيحيا أو يهوديا يستفيذ من الفرج الذي يأتي من عند الله).

هناك خاصية أخرى للرواية الغربية وهي أنها تنسج خيوط سردية متعددة، وفي هذا الصدد، فالليالي، بخاصيتها التداخلية المعقدة المبسوطة في دورة الاحدب، توفر نموذجا تركيبيا يتعارض بقوة مع تجاور الجمل من دون روابط سردية في الروايات القديمة. ينبغي أن ندرك أن قراء "ألف ليلة و ليلة" في القرن 18م كانو يقرؤون نصا أقل إغرابية من الذي نقرأه اليوم. لم يكن ذلك راجعا فقط لترجمة غالان، الذي منحنا صيغة مهذبة، مغربة شيئا ما الصيغ التعبيرية و الأعراف الشرقية. صحيح أنه في هذا العصر، كان إدراك غيرية العالم العربي ما يزال في جانب كبير منه ملتبسا إلى حدود نشر العمل الكبير "وصف مصر"، المتصل بالحملة النابولونية (1798-1801)، ثم كتاب أدوارد ويليام لين " العادات والتقاليد في مصر الحديثة" 1836 كان هناك القليل من المصادر الخاصة لتغذية الخيال البصري الغربي. يكفي أن نتفحص الأغلفة و الواجهات والرسومات للطبعات الأولى لألف ليلة وليلة لنتفق على هذا النقص. صحيح أن هذه الصور للرجال المعتمرين عمامات – التي يضعها الأتراك أكثر من العرب – لكن بالنسبة إلى الباقي فملابسهم تشبه ملابس الأوربيين أو الرومان القدامى. فشهرزاد وشهريار تخدمهما دنيازاد على سرير صلب له ظلة. قصر الملك من الداخل يشبه قصر فرساي. واللقاءات مع الجن تتم في علبة جواهر. فمن جميع النواحي كانت "ألف ليلة وليلة" للقرن 18م موضوعة في ديكور غربي معاصر. سجل النقد من ناحية أخرى أن غالان كان يود أن تكون ترجمته نافذة مفتوحة ليس على العالم الإسلامي الوسيطي، ولكن على الشرق كما كان في عصره، مدخلا فيها الفرس و

التتار والهند. صحيح أيضا أن الافتتان بالكتاب في انجلترا ليس افتتانا بشيء ما شرقي حقيقة، ولكنه بالأحرى إصرار يساير الموضة الأخيرة لفرساي وباريس- من هذه الناحية، لا تختلف الظاهرة عن الحماس الانجليزي بالنسبة إلى الرسائل الفارسية لمونتيسكو بعد عشرين سنة لاحقا.

إذا فكرنا في أمثلة من قبيل Moll Flanders (مول فلاندر) أو Tomes Jones أو (مغامرات رودريك راندوم) Les aventure de Roderick Random، فانطلاقة الرواية الانجليزية مدينة بكل تأكيد للتخييلات الشطارية الاسبانية. ومن المهم جدا تسجيل أن الشريان الشطاري كانت له سابقة في مقامات الهمداني والحريري. حيث رويت المحن و الانجازات و التسكعات للمحتالين الماكرين. لقد تسللت الانشغالات و الخدع السردية لمؤلفي المقامات إلى اسبانيا عن طريق الترجمة العبرية لتحفة الرائعة للحريري ترجمها يحي بن سليمان الحريزي شاعر يهودي من طليطلة، وهو مؤلف المقامة الشطارية "التحكيموني". شكلت الاقتباسات الاسبانية الأولى للمقامات بوصفها جنسا أدبيا من "حياة لاثاريودي طورميسن" وهو كتاب لمؤلف مجهول نشر عام 1554م. "راوية البسكون" Le Buscon لفرانسيسكو دي كيبيدو. طبع عام 1626م، بعد أن تداوله الناس لمدة سنوات على هيئة نسخ مخطوطة.

من جهة أخرى، اضطلع كتاب ابن طفيل "حي بن يقظان" الذي كتب في اسبانيا في نهاية القرن 12م وهو يعد نوعا من الرواية الفلسفية و اللاهوتية، بدور في التشكيل اللاحق لروبنسون كروزوي، يحكي كتاب ابن طفيل مراحل تطور الإنسان الذي يعيش وحيدا منذ طفولته الأولى على جزيرة خالية. ترجم كتاب "حي ابن يقظان" مرتين إلى الانجليزية في القرن 17 م. انطلاقا من نسخة لاتينية تعود لعام 1671. ثم ترجمه سيمون أوكلي انطلاقا من اللغة العربية عام 1708. وسيصادف أن سنة 1708 هي السنة التي انطلقت فيها من بريستول الفرقاطة التي كان يتوجب عليها انقاذ Alexander Selkink، وهو سلف روبينسون كروزوي في الحياة الواقعية الذي عاش أربع سنوات وحيدا في جزيرة أرخميل خوان فيرناندز L'Archipel Juan Fernandez، فالروايات القديمة، منذ ذلك العهد كانت تظهر مشهد المغامرات لأبطال ارستقراطيين غير محتملين، كانت في العادة تحكي بطريقة تباعدية. "كان حي بن يقظان" و "روبنسون كروزوي "يدعوان بالمقابل القارئ إلى استنباط وضعية المعزول بعد تحطم السفينة والتماهي معه.

من الجدير بالذكر، أن نسجل بهذا الصدد، أن الرائد الجوهري للرواية التراسلية في القرن 18م كان تقريبا تخييلا شرقيا مزيفا "الجاسوس التركي". لجيوفاني باولو مارانا (باريس 1684). هذه التقارير المزعومة حول فرنسا التي كتبها "محمود العربي" وتسلمتها السلطات بالقسطنطينية وستترجم إلى الانجليزية تحت عنوان Letters writ by a turkish spy who lived fine and forty years undiscovered at Paris (1691-1694) (الرسائل التي كتبها الجاسوس التركي الذي عاش 45 سنة متخفيا في باريس).

وحده المجلد الأول من بين المجلدات الثمانية للرسائل، ترجم انطلاقا من النص الفرنسي "لمارانا" أما الباقي، فربما اخترعته الأيادي المجهولة المتعددة (29)، ورغم أن "الرسائل الفارسية" لمونتيسكيو (1721) هي النسل الأدبي البارز لمارانا، فكل أنواع الرسائل المتخيلة والهجائية بدأت تظهر في انجلترا بعد بضع سنوات من نشر "الجاسوس التركي".

لقد كانت الفانطازيا و الواقعية في "ألف ليلة وليلة" وأعمال أدبية شرقية أخرى مصدر إلهام للعديد من الروائيين في القرن 18م. لكن هذا المصدر لم يكن الوحيد وأود أن أشد الانتباه باختصار إلى نمط آخر من التخييل، إنه المحكي الرحلي المتخيل بالكلية أو على نطاق واسع. لقد قرأ الجمهور "رحلات جون ماندفل (14م) بوصفها عملا مسليا لمدة قرون. ومن بين الأمثلة المتأخرة جدا، سنذكر "تاريخ Des Sevarombes" لدنيس فيبراس (1677-1679). وهو عبارة عن رحلة متخيلة ومحكي طوباوي تجري وقائعها بالأراضي الجنوبية، "الوصف التاريخي و الجغرافي لجزيرة فورموز Formose" لجورج Psalmanazar (1704)، الذي ينسخ أبجدية ويستدعي لغة، ويرسم عادات هي ثمرة خيال لأحداث متخيلة، تنعطف حول الخداع. يدعي المؤلف نفسه أنه من مواليد Formose "الرسالة الكاملة والصحيحة للحالة الحاضرة للامبراطورية العثمانية في كل أبحاثها" لآرون هيل Aaron Hill (1709). فهو لا يتحرج من أي هم للملاحظة الموضوعية. وبطواعية يتنازل للفانطازيا الروائية، وأخيرا ميسكلانية أوريةMiscellnea Aurea لطوماس Kiligrew (1720) التي تحكى في جزء منها اكتشاف الأرض الجنوبية المجهولة (Incognita Terra Australis). لأثينا الجديدة حيث أسلاف الإغريق القدامى وبعض الأهالي يعيشون في وئام. فالمحكي الرحلي المتخيل المتخفي في محكي رحلي حقيقي كان قد أصبح أصلا تجاريا في القرن 18 فقط حينما نشر James Bruce المحكي الصادق بطريقة شاملة لرحلاته في ايثيوبيا. يتخذ أغلب الناس من "في البحث عن منابع النيل" (1790) مكسبا، لأنه كان مثالا إضافيا على الجنس التخييلي. إن العبور من الفانطازيا الاحتيالية او السفر الطوباوي، إلى الروايات مثل رونسون كروزوي (1719)، والحياة والمغامرات و أعمال القرصنة القبطان Singleton (1720)، لدانيال ديفون، أو "رحلات كيليفر" لجوناتان سويفت (1721). من السهل جدا أن تصبح غير مدركة تقريبا.

وعلى سبيل الختام والعودة إلى النقطة المركزية لمعرفة البعد الواقعي الذي يحدث أحيانا في "الليالي"، ودوره الممكن في تشكيل الرواية المعاصرة، من المستحسن أن نذكر من جديد أورباخ Auarbach.

إن "المعالجة الجدية للواقع المعاصر، وصعود المجموعات البشرية الواسعة، المتدنية اجتماعيا إلى حالة الأفراد ذوي التمثل الإشكالي والوجودي ، من جهة،- واندماج الأفراد و الأحداث المشتركة جدا في المجرى العام للتاريخ المعاصر، وعدم استقرار الخلفية التاريخية، من جهة أخرى- ها هي، كما نعتقد، أسس الواقعية المعاصرة. وإنه لمن الطبيعي أن الشكل الشامل والمرن للرواية النثرية يفرض نفسه دائما كي يعيد كل العناصر المختلفة في الآن نفسه."

من المستحيل أن نبرهن أن دانيال فو، وهنري فيلدينغ وطوبياس سموليت، بعد قراءتهم ألف ليلة وليلة- ونحن نعرف أنهم قاموا بذلك- أنهم نهلوا مباشرة من مصادر ملهمة كي ينشئوا النمط الجديد من التخييل الذي وصفه أورباخ بطريقة واضحة. إنه ببساطة أمر ممكن تصديقه.

المراجع والهوامش:

1- Ibn al-Muqaffà, The fables of Kalilah and Dimnah, tra,Salah Sa'adeh Jallad ,Londres , Melisende,2002,p. 29- 36.) en français: Le livre de Kalilah et Dimna,trd ,Andrés Miquel,París, Quents/ Klinck siempre,2012(من الآهمية بمكان أن نسجل أن ابن المقفع يشير بطريقة صريحة أن الجمهور الشاب ينتمي الى القراء الذين يستهدفهم

2 مصطلح مقامات (مفرد مقامة) الذي نترجمه بكلمة seances ، يشير إلى جنس أدبي عربي كلاسيكي ، نشأ في القرن العاشر الميلادي ، ويتكون من قصص قصيرة مستقلة ذات نثر مسجوع وبه ادماجات شعرية . ابتكره الهمذاني (968- 1008) ، هذا الجنس ذو الأسلوب البارع المتألق بلغ الاوج مع الحريري (1054- 1122).

: 3 Abdelfattah Kilito, Les seances: Recits et code culturels chez Hamadhâni et Harîri,París, Sandra, 1983 p257. Cf. Devin Stewart," Maqama" in the Cambridge History of arabic literature : Arabic literature in the Post - classical Period,Cambrige university Press ,2006 p149

: 4The arabian Nights ,trad, Hussain Haddawy,New York ,Norton 1990,p1.

5 "A true History قصة حقيقية."كتاب الروائية الانجليزية كان يحمل عنوانا حقيقيا cf, Aphra Behn, Oroonoko trad, Guillaume Vileneuve, presentation par Youmma Charara ,París, Gf ,Flammarion,2009,)N.d.t(

: 6 Cité par Martha Pike Conant ." The oriental Tale in England in the Eighteenth century (الحكاية الشرقية في انجلترا في القرن 18م) New York ,Colombia University,1908,p 85

7 Samuel Richardson,Pamela,or,Virtue Rewardedباميلا أو مكافأة الفضيلة. 1740 reed londres penguin 1980 p 27-31

: 8-Margaret Anne Dooby, The true story of novel , New Brunswick, Rutgers University,Press,1996.

9- Ian Watt,The Rise of the novel: studies in Defoe,Ridchardson and Fielding, Londres, chetto and windus,1957. فيلدينغ، ريتشاردسون، دراسات حول ديفو، صعود الرواية. Cf, Lennard, j.Davis, Factual Fiction : The origins of English novel, التخييل الواقعي : أصول الرواية الانجليزية. New York, Columbia University press,1983,et Geoffrey Sill,The cure of Passions and The origins of English Novel,علاج العواطف وأصول الرواية الإنجليزية. Cambridge, Cambridge University, press,2001

: : 10 Marthe Pike conant, The oriental Tale in England in the Eighteemth century,op, cit, p236- 237.

11- Henry Feilding,Joseph Andrews, Dublin, 1742,vol,2, livre 3, chap 1 الترجمة المستعارة من مغامرات جوزيف اندريوس وصديقه ابراهام آدم. Tome 2, París, p,13813- Henry Fielding,Tome 2,paris p 138

12- Peter L.Caracciolo," The House of fiction and le jardín anglais -Chinois" بيت الخيال والحديقة الانجليزية الصينية. Middle Eastern litteratures n: 7)2(juillet 2004,p, 199- 211 republié dans ,New perspectives an Arabian Nights: Ideological variations and Narration horisons " منظورات جديدة حول الف ليلة وليلة ، تنويعات ايديولوجية وآفاق سردية. Wen-Chin ouyang et Gat jan van gelder)ed(,Londres, Routledge 2005p 67- 80 الاستشهادات في هذا النص ستعيدنا إلى الطبعة التي ظهرت في " آداب الشرق الأوسط"

13 : henry fielding tome Jones,Londres,1749,Livre8 ,chap,4.

14- Peter L. Caracciolo," The house of fiction and le jardín anglo-chinois" op,cit,p201.
15- Ibid,p206

16- Ulrich Marzolph et Richard van llenen,The arabian Nights Encyclopedia,2vol,Santa Barbara,ABC-Clio ,2004 ,vol,1, p225.

17 : Traduction d'Antoine Galland

18- Ibid.

19- Erich Aurbach,Memésis, La representation de la réalité dans la litterature occidentale ,trad, Comélius Hein,Gallimard,1969,réedité dans la collection Tel , 1977,p399.

: 20- Sur le capitalisme de Robinson crusoé ,voir Ian watt , The Rise of The novel ,op,cit, p 61- 73

21- Ou la délivrance après l'epreuve,selon le tire de la traduction française du livre de Tanukhî(الفرج بعد الشدة) (traduction, presentation et notes de jean- jaques schmitt, París, Sindbad/ Actos Sud 2007) .

22-Sur le genre Faraj ba'a al- shidda,voirAlfred wience" Die Farağ ba'd aš-šidda- litrature" Der Islam,n 4 ,1913,p 290-298et 387-420,Robert Irwin(ed) The peiguin Anthology of clásica Arabic Literature ,Londres,Penguin,3006,p155- 164

23- Robert Irwin, visiona of the jim, Illustrators of the Arabian nights ,Oxford ,Oxford University Press/ Arcadian library, 2010 ,p 15- 29

: 24 Jean Paul Sermain et Aboubakr chraibi (ed), Les milles et une nuit ,traduction d'Antoine Galland ,3v,París GF ,Flammarion,2004 ,vol ,1 p21

: 25- Le Lazarillo deTormes fut traduit pour la première fois en anglais en 1576 et en français en 1594 .En Espagne ,le livre fut censuré par l'inquisition qui fut paraître une version expurgée en 1573

26 - Juan vernet, Ce que la culture doit aux Árabes d'Espagne ,tra,Gabriel Martínez Gros , París, Sandra,1985,p,343- 344.Philip Ward ,The Oxford Companion to spanish literature Oxford,Oxford University Press,1978,p266

: 27- Antonio Pastor,The idea of Robinson crusoé, Watford (uk),Góndola Press,1980,Lawrence Conrad (ed)The Word in ibn Tufayl. Interdisciplinary Perspectives on " Hayy Ibn Yaqzân" Leiden ,Brillante,1996

28 - L'oeuvre fut publiée presque simultanément en Italien et en français : L'Esploratore turco e le di lui relazioni segrete alla Porta o Homanan,chez claude Barbin,áParis puis chez le même éditeur ,L'espion du Grand Seigneur et ses relations secrètes ,envoyées au Diván au Canstantipole ,decouvertes á París pendant le régne de Luis Le Grand ,traduites de l'arabe en italien par Le Sieur Jean Paul Marana et de l'italien en français

29- Ros Ballaster,Fabuloso Orients: Fictions of the East in England,1662-1785,Oxford, Oxford University Press,2004,p154-162

30- Eric Azerbaiyán,Mimosos,op.cit p.487